مخفية عن الاغيار في اكثر الاحيان . وتتناسب هذه الخلافات تناسبا عكسيا مع الضغوط والاخطار الخارجية . وهنا تكمن الحيرة العربية. فان تمادي اسرائيل يضطر العرب الى الضغط العسكري والدبلوماسي والاقتصادي عليها ولكن هذا الضغط يؤدي بعين الوقت الى تلاحم صفوفها وتعاظم شافتها ، ومن ثم زيادة تماديها .

ان من الخطل تصور الجانب اليهودي من الحملة التي اثيرت ضد بيغن في لندن بداية للانشقاقات الصهيونية . انها فقط علامة لها . ويجب ان نعتبر تجاهلها خطلا من نوع آخر . ولا بد ان نتذكر ان الهاغانه والارغون تزفاي ليومي اوشكتا على الدخول في حرب اهلية بالفعل في عام ١٩٤٨ ، لولا الاحساس بالخطر الاكبر من الجانب العربي . اذا كانت هناك تربة غنية بالتناقضات وخصبة للنزاعات فهي التربة التي ترقص عليها اسرائيل . يهود من الغرب ويهود من آسيا وافريقيا ، يهود من اوربا الشرقية ويهود من اوربا الغربية ، يهود ملونون ويهود بيض . هناك شتى الميول والعقائد والتقاليد والمناحي الاقتصادية المختلفة . وهناك فوق الجميع تخيم الروح الفردية والانانية التي تتصارع باستمرار مع روح البقاء الجماعي المهدد بالخطر الخارجي .

ما الذي يمكن للعرب ان يفعلوه في هذا الميدان ؟ لا شيء . فهم التناقضات الجذرية ومحاولة تعميقها امر يتطلب دراية وتنسيقا سياسيا هادئا قلما يتوفر لاحد في العالم . خير ما يمكن للعرب ان يفعلوه هنا هو الا يفعلوا شيئا ، الا يمسوا هذه التناقضات بأصابعهم . ومن هنا سر ارتياحي للموقف السلبي نسبيا الذي وقفته مصادر الاعلام العربي في لندن ازاء زيارة بيغن .

بقي السؤال الآخر : لماذا قرر بيغن الان زيارة الدولة التي حكمت عليه بالاعدام ؟ قيل لافتتاح المؤتمر الاول لفرع حزبه . ولكن لم قرر انصاره عقد مؤتمرهم الاول آنذاك ؟ ربما تمهيدا للمؤتمر الصهيوني العالمي في القدس . ولكن لم مؤتمر هذا العام بالذات ؟ بالطبع ان مرور اكثر من عشرين عاما على جرائم بيغن يجعل الفرصة ممكنة الان احتراما على الاقل لقاعدة تقادم الزمن القانونية . هذا جانب صحيح ، ولكنه جانب فقط . اما الاساس فهو الاساس الذي ادخل بيغن الى الوزارة وجعله شخصية محترمة لا يتردد المستر هيث في مصافحتها .

يقوم حزب حيروت على اساس السياسة التوسعية التي قررها جابوتنسكي ، سياسة اسرائيل الكبرى التي تشمل شرق الاردن وتمتد من الناقورة في لبنان الى القنطرة على ضفة السويس ، كما يقول النشيد الذي الفه جابوتنسكي نفسه . وكان الناس ينظرون الى هذه السياسة نظرة استنكار ، وكانت المنظمة الصهيونية تنفيها وتشعر بحرج ازاءها . واضطر بيغن ان يتخلى عن بعض اجزائها تكتيكيا بعد دخوله الحياة الحزبية لاسرائيل وطموحه الى الوصول الى الحكم . بيد ان ازمة ١٩٦٧ وحربها وضعت سياسة حيروت التوسعية في نطاق السياسة العملية الواقعية . وترددت الصيحة ان جابوتنسكي كان على حق . اما وقد مرت خمسة اعوام على احتلال الاقاليم العربية وتبلور الحدود الجديدة تدريجيا كحدود فعلية لاسرائيل ، فلم يعد في برنامج حيروت وأراهيص بيغن ما ينم عن شذوذ عن السياسة الاسرائيلية العامة او لا مسؤولية .

زيارة بيغن الى العاصمة البريطانية هي عنوان للثقة التي اصبح يشعر بها بيغن واتباعه ، هي توكيد على ان التوسع الاسرائيلي برنامج معقول ومقبول ، هي مظاهرة لتحذير كل من يفكر بالتراجع في تل ابيب ، هي نقطة انطلاق لتوسيع القواعد الحزبية لبيغن وتعميده بماء التيمس غفرانا له عن ذنوبه تمهيدا لتنصيبه قديسا جديدا لاسرائيل . لقد فشلت هذه الزيارة ولكن بيغن حذر بأنه سيرجع ثانية في العام القادم ، وفي العام القادم سوف لا يحجز قاعة بلدية وستمنستر وانما قاعة البرت هول التي تزيد على الاولى اضعافا مضاعفة في الاتساع . انها مسألة توسع دون شك .

خالد القشطيني